نقد نقّاد المتنبي

ابراهيم اليازجي – الحسين المرصفي – جرجي زيدان – احمد الاسكندري – احمد حسن الزيّات – حافظ ابراهيم – احمد شوقي – احمد ضيف – كامل كيلاني – زكي مبارك – فؤاد افرام البستاني – الدّرينيّ – محمد كمال حلمي – عبّاس محمود العقّاد – ابراهيم عبد القادر المازني – شفيق جبري – محمد الاسمر

بقلم رجيس بلاشير

الاستاذ في معهد اللغات الشرقية الحيّة في باريس

تكاثرت ، في الآونة الاخيرة ، المنشورات في درس ابي الطيّب المتنبي ، فكان بعضها مقدمات للاحتفال بذكراه المائية ، وكان بعضها لتالية لذلك الاحتفال ؛ وجلّها يمت بالسبب القوي الى المناسبات الظرفية والنزعات العالية . حتى اصبحنا نتوق الى درس يترفع عن تأثير البيئة والعصر ، فيصل الى النظرة الشاملة دون ان يعرض عن التفصيل الدقيق . فعلى لنا – من ابحاث قليلة في هذا النوع – بحث وافٍ مستفيض للمستشرق رجيس بلاشر (١ ضمّ في صفحاته الشاهدة بالعلم والجلد خير ما تُرجى معرفته عن المتنبي واثره . ولا يتسع لنا المجال اليوم لتدبر الكتاب حقّ قدره ، فنعود اليه في جزء مقبل ، ان شاء الله . انما نكتفي الآن بنشر فصل من فصوله (٢ ، خصه المؤلف بنقد نقاد المتنبي من ادباء الشرق المعاصرين ، بعد ان قدّم كلمة في انتشار طبعات الديوان ، فعلّنا نُلمّ ان ينظر من ابعد مما ينظر اليه ادباؤنا ، فيحكم عليهم بما قد لا يستطيعون الحكم به . قال:

لقد كان من نتائج إدخال المطبعة الى العالم الاسلامي ، في مطلع القرن التاسع عشر ، العمل على نشر شعر المتنبي.

ففي الهند ، في كلكوتا سنة ١٢٣٠ (١٨٢٤) ، ولأوّل مرّة ، مثّلت المطبعة دورًا في مصير ديوان ابي الطيب[٣]. وابتداء من هذا الحين اخذت

1) Régis Blachère, Un poète arabe du IV^e siècle de l'Hégire (X^e siècle de J.-C.) : Abou ṭ-Ṭayyib al-motanabbi. (Essai d'histoire littéraire) In-8°, XIX+366 pp. Paris, Adrien-Maisonneuve, 1935.

٢) هو الفصل الرابع من القسم الثاني من الكتاب ، وعنوانه في الاصل : ديوان المتنبي والعالم « العربي » العصري .

٣) طبعه احمد شِرواني في مجلد واحد ، صفحاته ٤٠٢ وهو مفقود اليوم . انظر بروكلمان ١ : ٨٨ ؛ سركيس ١٦١٦ وهو يذكر خطأً السنة ١٢٣٠ ؛ راجكوتي : زيادات ، في المقدمة . سلستر دي ساسي : منتخبات عربية (الطبعة الثانية) ٣ : ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٠ اعتمد مرّات عديدة على هذه الطبعة الاولى للديوان

الطبعات تتعدد : في هُوغلي سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠)[1] ، وفي ديوبند[2] ، وكلكوتا سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) ، و١٢٦١ (١٨٤٥) (مع شروح بالفارسية)[3] وفي سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) طبع ثانيةً (مع شرح العكبري)[4] . وسنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) و١٣٠٢ (١٨٨٤) (مع شرحي العكبري والواحدي ممزوجين)[5]، وفي بومباي سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) (مع ترجمة الشاعر مأخوذة من كتاب ابن خلّكان ، وشرح الواحدي)[6] ثم سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢)[7] و١٣١٠ (١٨٩٢)[8]

وكان على مصر ان تنتظر نصف قرن قبل ان تحذو حذو الهند. ففي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) ، ظهر في القاهرة نصّ الديوان ، وعلى هامشه شروح مأخوذة من الواحدي والعكبري[9] . ومنذئذٍ اخذت الطبعات تتتابع دون انقطاع : في بولاق سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) (مع شرح العكبري كاملًا)[10] وفي القاهرة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) (مع شرحي العكبري والواحدي على الهامش)[11] وفي سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠) (مع شرح العكبري ، وعلى الهامش صبح البديعي) ؛ وسنة ١٣١٠ (١٨٩٢) (النص وحده)[12] واخيرًا سنة ١٣١٥ (١٨٩٧)[13]..

١) طبعة عبد الله خان ، ٢+٣١٠ صفحة . انظر سركيس ، ١٦١٦

٢) منه نسخة في القاهرة (فهرس دار الكتب) ٣:١٤٦ (ب) بدون تاريخ .

٣) شروح المجي صفحاتُهُ ٦٦٤ . انظر سركيس والراجكوتي : في الاماكن المذكورة .

٤) طبعه بدرناوي ، ٨٥٦ ص . انظر سركيس ٢٩٥ ، ١٦١٦

٥) ذكرها فؤاد افرام البستاني — المشرق ١٩٢٧ : ص ٩٠٤

٦) طبعه عبد الحسين حسام الدين طبعة حجرية ، ٢٥٨ صفحة . انظر سركيس ١٦١٦ .

٧) طبعه مول جلال الدين طبعة حجرية ، ٢٩٦ ص . انظر سركيس : المكان المذكور

٨) جدّد طبعه مختصرًا عن الطبعة السابقة ، ٢٥٤ ص . انظر سركيس : المكان المذكور ، وبروكلمان ١ : ٨٨ .

٩) هو نصّ اثبته محمود منقارَى الفرضي . واختار الشروح من مؤلّفي الواحدي والعكبري عمر الرافعي ؛ طبعة حجرية في ٣٩٢ ص . منها نسخ في القاهرة (فهرس دار الكتب) ٣:١٤٦ ، (ا) ، وفي رباط .

١٠) في مجلدين ؛ وهو نادر جدًا . انظر سركيس ٢٩٦ ، ١٦١٦ .

١١) مطبعة ابو زيد ، طبعة حجرية ، ٣٥٦ ص . سركيس ١٦١٧ .

١٢) مطبعة امين هنديه . منه نسخة في القاهرة (فهرس . . .) ٣:١٤٦ (ب)

١٣) سركيس ١٦١٧

كانت نتيجة عمل التعميم الذي قامت به المطبعة ان ادخلت ديوان ابي الطيب في جميع نواحي العالم الاسلامي . ففي افريقية الشمالية يستشهد به أدباء الطراز القديم ، ولاسيما المراكشيون منهم ، في ظروف عديدة . اما الجيل الناشئ المؤثرة به المؤثرات الشرقية ، فيبدو ، هو ايضاً ، معجباً بالمتنبي اعجاباً لا يحار من التأثر بالاحكام السابقة ، انما يظهر بروح غير الروح المعروفة في آبائه[1] . وكذلك نرى ديوان المتنبي معروفاً ، منذ اربعين سنة ، في منطقة من العالم العربي ، بعيدة عن هذه المنطقة ؛ في عُمان ، كان الادباء المثقفون يعرفون آثار شاعرنا[2] . ثم ان الهند ، التي كانت اول طابعة للديوان ، كما رأينا ، لا تزال تهتم به الى اليوم - يشهد بذلك درس حديث للراجكوتي ، الاستاذ في جامعة عليگره ، جمع فيه مقاطع للمتنبي غير موجودة في طبعات الديوان الاخيرة[3] .

وسواء أنظرنا الى افريقية ام الى الهند ام الى اية ناحية أخرى من العالم

---

١) سألني طلبة مراكشيون، لبضعة اعوام خلت ، ان اشرح لهم قصيدتين او ثلاث قصائد لشاعر الكوفة. فكان لبعضهم ما اضحكهم لدى قراءة ابيات بارزة التكلف. وقد لاحظت عند آخرين شيئاً من خيبة الأمل لتلاوة قصائد شاعر لا يفهمونه الا بمعونة الشروحات الكثيرة. واذاً فقد كان اعجابهم الأول مؤسساً على الاحكام السابقة.

٢) Reinhardt, *Ein arab. Dialekt... in Oman*, XIII

٣) طبعت هذه المقاطع في القاهرة ، سنة ١٣٤٦ (١٩٢٧) ، بعنوان « زيادات ديوان شعر المتنبي » . وهي مأخوذة :

ا من طبعات الديوان الظاهرة في كلكوتا سنة ١٢٥٧ و١٢٦١

ب من مجموعات ادبية مختلفة

ج من مخطوطتين للديوان محفوظتين في بومباي ، ترقى احداهما الى القرن السادس للهجرة ، (الثاني عشر) .

د من مخطوطة للديوان محفوظة في حيدراباد ، مؤرخة في السنة ١١٥٣ (١٧٤٠)

ه من مخطوطة أخرى محفوظة في حيدراباد ، مؤرخة في السنة ٦١٥ (١٢١٨) ، مستندة الى النسختين الاصليتين :

ا نسخة رجاء بن الحسن ، المنسوخة عن نسخة ضبطها المتنبي وابن جني .

ب مخطوطة علي بن عبد الرحمن السُّلمي (ت ٥٧٦ = ١١٨٠) استاذ الحكبري (اطلب ارشاد الاريب ٥ : ٣٤٧ ، وبغية الوعاه ٢٤١) المنسوخة عن نسخة ضبطها علي القُشَيري وأخرى ضبطها علي البصري ، ترقى اثنتاهما الى نسخة المتنبي الاصلية .

الاسلامي ، فاننا نتحقق ان معرفة قصائد ابي الطيب لا تزال من خصائص عدد محصور من المتأدبين . وليس في هذا ما يدعو الى الاستغراب . كذلك القول عن القرون الوسطى اذ كان الاشخاص القادرون على التصرف بالعربية المدرسية بسهولة يمكنهم وحدهم ان يطمحوا بمعرفة هذه القصائد . بيد انه في مصر وسورية، حيث تستند الثقافة الى تضلّع بليغ من العربية، كان لفهم القصائد جمهور اوسع واوفر خبرة من جميع من عداه . واذاً ففي هذين القطرين وجب ان تتوصل الدروس الحديثة في المتنبي الى اوسع انتشارها .

***

وقد ظهر ، بادئ بدء ، ميل الى تجديد الشروح . لان شروح الواحدي والعكبري اصبحت قديمة مهملة . فرغب الناس في غيرها ، رغبوا في شروح واضحة ، موجزة ، اضبط من الاولى .

في السنة ١٨٦٠، اصدر العالم الماروني بطرس البستاني[1] ، المدينة له الآداب العربية بالشيء الكثير، في بيروت شرحاً جافاً ادرك النجاح حالاً ، وجددت طبعته عدات مرات[2] .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، قام السوري ناصيف اليازجي[3] — الذي سيمثل في نهضة بلاده الفكرية دوراً يعادل، على الاقل، دور البستاني — فدرس بحميّة قصائد مادح سيف الدولة . فتأثر به تأثراً عميقاً في شعره الخاص . وقضى حياته منصرفاً الى تأليف شرح له لم يسمح له الموت باتمامه . فجمع ابنه ، ابراهيم اليازجي[4] هذه المواد وطبعها في بيروت سنة ١٨٨٢ تحت عنوان « العَرف

---

١) ولد في لبنان سنة ١٨١٩ ، وتوفي في بيروت سنة ١٨٨٣ . اطلب دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٣٥

٢) بيروت المطبعة السورية سنة ١٨٦٠ ، ٣٨٣ ص . جددت طبعته سنة ١٨٦٧ و١٨٨٢ و١٨٨٧ ٣) ولد في لبنان سنة ١٨٠٠ ، وتوفي في بيروت سنة ١٨٧١ . اطلب دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ١٢٢٤ — ١٢٢٥

٤) ولد في بيروت سنة ١٨٤٧ وتوفي في هذه المدينة سنة ١٩٠٦ . دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ١٢٢٥ (ب) — [المشرق : قلنا : والصواب ان الشيخ ابراهيم اليازجي توفي في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، لا في بيروت .]

الطيب في شرح ديوان ابي الطيب »[1] . اما قصائد المتنبي ومقاطيعه فمرتبة في هذه الطبعة الجديدة حسب نظام تاريخي يكاد يكون اكثر ضبطاً منه عند الواحدي . وقد حُذف شيء من بعض القصائد[2]، واثبتت روايات لبعض الابيات لم تكن دائماً موفقة[3] . ويظهر ان شرح الواحدي كان مستنَد ناصيف اليازجي وشروحه على كونها اوسع من شروح البستاني ، تقتصر على الزبدة ، بل انها تنحصر احياناً في حلّ بسيط للنص الشعري . بيد ان هذا الاثر ، بصورته الموجزة ومظهره السهل التداول، يبدو متمماً موفقاً لشرحي العكبري والواحدي، فيظهر شيئاً فشيئاً جديراً بان يُعتبر اثراً مدرسياً . وبعده لا يُنوَّه الا على سبيل الذكرى بالطبعة المهذَّبة المشروحة التي نشرها الماروني سليم صادر[4] .

ولم تحذُ مصر حذوَ لبنان الا متأخرةً جداً . ففي السنة ١٣٤٨ (١٩٣٠) فقط، أخرج الناقد البرقوقي[5] « شرح ديوان المتنبي »[6] . لكنه ، بانصرافه الى ترتيب القصائد حسب نظام قوافيها الابجدي ، وبما يظهره من ازدراء بدرس البيئة التاريخية وبالمعلومات عن حياة الشاعر[7]، يخرج اثره بعيداً كل البعد عن التوفّق، ولا يبدّد شيئاً من الغموض العالق بالشروح الاخرى . انما مظهره الطبعي وحده

---

١) ص ٢ مقدمة عن المتنبي ؛ ص ٢ – ٦٢٤ شرح ؛ ص ٦٢٥ – ٦٢٦ مُلحق . ص ٦٢٧ الى الآخر درس لابراهيم اليازجي في المتنبي

٢) في القصيدة ٢٤ حُذفت الابيات ٥ – ٨ . وفي القصيدة ١٦٨ نُشر ١٩ بيتاً بدل ٢٩

٣) يازجي ٨٤ السطر ٤

٤) «ديوان ابي الطيب المتنبي» بيروت سنة ١٩٠٠ ، ٥٠٠ صفحة . ترجمة قصيرة للشاعر مأخوذة عن «الصبح» ثم قصائد مرتبة حسب النظام التاريخي، فهرس للقوافي . ولها طبعة جديدة سنة ١٩٢٥

٥) عبد الرحمن البرقوقي ، منشئ مجلة «اليان» المصرية . انظر شيخو : « المشرق » كانون الاول سنة ١٩٢٢ ص ٩٤٦ . وتاريخ الآداب العربية في القرن العشرين ، ص ١٨٦ ؛ سركيس ٥٥١ .

٦) طبع في القاهرة ١٣٤٨ (١٩٣٠) في مجلدين . الأول ١٦ + ٥٠٤ ص . ، والثاني ٥٥٥ + ١٨ ص . مقدمة ، نص وشروح في الحواشي ، ملحق ، فهرس .

٧) ويرى البرقوقي ان الاطلاع على ترجمة حياة المتنبي لا يضيف شيئاً الى فهم النص . انظر المقدمة ١ : ١ .

قد يُمهّد له مجال الاستعمال .

***

كل هـذه الشروح التي ذكرنا تظهر نهائياً أشبه بتجديد لشروح القرون الوسطى منها باعمالٍ مبتكرة . ذلك لان الموضوع لم يكن في الحقيقة ليتّسع لشيء آخر . وبضدّ ذلك ، نرى دروس البحّاثة السوريين والمصريين ، التي سيخصّصونها بحياة المتنبي وشعره تدلّ يوماً فيوماً على مقاطعة القرون الوسطى . على ان هذه المقاطعة لن تكون جازمةً البتة . ذلك اننا نرى عند الكثيرين تقهقراً ، وتردّداً ، وكثيراً من بقايا الماضي . ففي درس ظهر في بيروت سنة ١٨٨٧[1] ، يأخذ ابراهيم اليازجي على نفسه (ص ٦٥٢) ان يدرس شعر المتنبي « من حيث هو كلام تُراد منه المطابقة بين المسموع والمفهوم » ، ولكنه ينسى تماماً هذه الغاية ويهتمّ خاصة بتبيان نواقص دروس القرون الوسطى ، واصلاح الاخطـاء التفسيرية ، التي تشوّه أثر فنّان طائر الصيت قد يكون ، في عبث الصبي ، توصّل الى ابيات فارغة المعنى حتى لا نتصوّر نسبتها الى اضعف الشعراء . غير ان حسناته في عهد نضجه لا تحصى .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، قام الشاعر المصري البارودي[2] ، مَن دانت له الآداب العربية بيقظتها الجديدة ، فاستشهد في مجموعته « المختارات » بنحو ثلاثمائة بيت للمتنبي كامثلة للمدح ، والرثاء ، والتوسيعات الحكميّة[3] .

وبعده ببضع سنوات ، قد يكون شاعر مصري آخر ، هو توفيق البكري[4] ، الّف مقالاً عنوانه « مناقب المتنبي ومعايبه »[5] ، خصّه ، على الارجح ، بشخصية

---

١) مطبوع في آخر العَرف الطيب ، ص ٦٥٢ وما يليها

٢) محمود سامي باشا البارودي وُلد في القاهرة سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) وتوفي فيها سنة ١٣٣٢ (١٩٠٤) . سركيس ٥١٤ . زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٤ : ٣٤٩ ؛ وتراجم مشاهير الشرق ١ : ٢٤٨

٣) المختارات ١ : ٢٥ وما يليها . و ٣ : ١ وما يليها ، ٢٣١ وما يليها ؛ ٤ : ١٠٤ وما يليها ، ٢٥٣ وما يليها ، و ٤٢٧ وما يليها ، و ٤٧٤ وما يليها .

٤) شاعر ، وكاتب ، وناقد ، ولد في القاهرة سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وتوفي في بيروت . انظر زكي مبارك : النثر العربي ٧١–٧٣ ؛ واحمد عبيد ١٦٨–١٧١ ؛ وسركيس ٥٨١

٥) وقد يكون ظهر هذا المقال في مجلة «المقتطف» ١٨٩٣ م ١٧ ص ٢٦١ . وهو موضع

الشاعر الخُلُقيَّة.

وهكذا نرى انه لا البـارودي ولا البكري تحرّرا من آراء القرون الوسطى الأدبية. فهما يكتفيان بترداد الأحكام التي أُطلقت على المتنبي لمدة قرون خلت.

وبقايا الاعصر القديمة هذه نفسها نتحققها ايضاً في اقوال الحسين المَرصفي[1] الذي يظهر للسامع كانه احد شيوخ ابن خلدون عند ما يُصرّح لتلاميذه: «مسلم بن الوليد، وحبيب بن أوس (ابو تمام) وابو الطيب المتنبي، وابو العلاء المعرّي، قومٌ تكلّفوا البديع، واخضعوا المعنى للفظ، وتعمّقوا في درس مذاهب الفلاسفة. ولم يخلُ كلامهم من يونانية تباعد بينهم وبين مذاهب العرب البادين. فدرسهم خطل، والعناية بهم حمق، والإعراض عنهم الى الشعراء المطبوعين اصابة وتوفيق.»[2]

على انّ هذا الموقف العدائي منفرد كل الانفراد. فتلاميذ المرصفي انفسهم كانوا اوّل الثائرين عليه بسبب معاكسته الميول المُحدَثة المرتسخة في الشرق يوماً بعد يوم، هذا الشرق البالغ الى معرفة النقد التاريخي والاسلوب الادبي معرفة تزداد جلاء كل يوم. حتى ان الانفصال عن بقايا القرون الوسطى يكاد يتمّ فلا يبقى الّا بزوغ القرن العشرين لاثباته وتأييده.

***

هذه المؤثرات تظهر، قبل كل شيء، بمحاولة اسلوب جمعي تأليفي (synthèse) ميّز خاصة تلك الكتب التعليمية في التاريخ الأدبي، المطبوعة

اشار اليه فؤاد افرام البستاني في «الروائع» ١١: ٣٨. غير ان هذه الاشارة غير صائبة، ومع كل اجدني لم اوفق الى العثور على المقالة.

[المشرق: استغربنا من المستشرق الفاضل ان لا يجد المقالة المذكورة. وقد رجعنا الى المجلد ١٧ من المقتطف (سنة ١٨٩٣) فاذا المقالة هناك في عشر صفحات من ٢٦١ الى ٢٧١]

١١ الحسين بن احمد المرصفي مدرس في الازهر – القاهرة – توفي سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠). سركيس ١٧٢٥. زيدان: آداب ٤: ٢٦٥. شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢: ٤.

١٢ اوردها طه حسين في ذكرى ابي العلاء: المقدمة: ب.

حوالى ذلك العصر . هكذا تبدو تراجم حياة المتنبي لمحمد المرصفي[1]، وجرجي زيدان[2] ، والاسكندري[3] ، والزيات[4].

ثم نرى ان النقد يجتهد شيئاً فشيئاً في اكتشاف مفكر ، مبتكر ، عميق ، في المتنبي. فيما كان المعاصرون موقف « شرق » القرون الوسطى القليل الاكتراث للابتكار المعنوي ، والمعجب خاصة بفنّ الشعراء[5]، معتبرين ان لا شعر حقيقي بدون عمق شعور وابتكار فكرة يرفعها جمال المبنى الذي انما هو محمل الفكرة ليس غير[6].

على أنّ شهرة المتنبي في الاوساط الاوربية ، في دمشق ، والقاهرة ، وتونس ، في وقتنا هذا ، صادرة عن ينبوع آخر . هي تلك المؤثرات القومية والعربية

١) ادب اللغة العربيّة . هُديت الى هذا الدرس ، ولكني لم استطع أن اختبر محتوياته .

٢) آداب . ٢ : ٢٤٥-٢٤٩ : ترجمة، بحث ادبي، تعداد اشهر الدروس النقدية والطبعات لديوان المتنبي.

٣) تاريخ أدب . . . العصر العبّاسي ص٢٧٥-٢٨٨ : حياة الرجل واخلاقه، قيمة الشاعر، ميزة قريحته ، شعره الحكمي.

الوسيط (بالاشتراك مع مصطفى عناني) ٢٢٣-٢٢٦ . ترجمة حياته ، موازنة بين المتنبي وابي تمام والبحتري.

٤) تاريخ الادب . . . ص٥ ٢٢-٢٢٧ . ترجمة مأخوذة من «اليتيمة» ، حُكم مأخوذ قسم منه من الكتاب نفسه ، مع آراء للمؤلف.

٥) ولنا بهذا المعنى تصريحات جازمة عديدة في القرون الوسطى. من ذلك قول قدامة : «اذ كان الشعر انما هو قول . واذا اجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد . » (نقد الشعر ٤٥) وقول الجاحظ : «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي . وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج . » (الحيوان ٣ : ٤١) واقوال العسكري الكثيرة في هذا الباب : «وليس الشأن في ايراد المعاني . . . وانما هو في جودة اللفظ وصفائه . . . مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف . . . والكلام اذا كان لفظه حلواً مذيباً، وسلساً سهلاً، ومتناه وسطاً ، دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر . » ثم يذكر ابياتاً «ليس تحت الفاظها كبير معنى وهي رائقة معجبة» (الصناعتين ٤٣) ولنختم بقولنا ان الثعالبي في «يتيمته» ١ : ١٢٤ يعدّ من « معايب شعر المتنبي ومثالبه» خروجه «عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة » . كذلك عند ما يعنى الحاتمي المتنبي بخلقه شعراً فلسفياً ، لا يُعجب بابتكار الفكرة بل بمهارة الفنّان الذي نقل الى العربية فكرة مأخوذة من ارسطو.

٦) كما يُستخلص من رأي لشوقي استشهد به عبد الفتّاح : أدباء ١ : ٢٦

الشاملة ، التي تحمل المسلمين على أن ينتبروا ، في « شرق » القرون الوسطى ، عن رجالٍ يقابلون بهم رجال الغرب ، تجعل من مادح امرأة سوريّة ومصر وفارس مثلاً للعبقرية العربية ، منتصباً تجاه العبقرية الاعجمية او غير العربية . وهكذا يظهر المتنبي بمظهر ڤيني (Vigny) او گوته (Goethe) ، بل بمظهر نيتشه (Nietzsche) شرقيّ يبرهن بقدرة باهرة عن المساواة الثقافية في بلاد هي اليوم تحت وصاية اوربّة الفكريّة والسياسيّة

وليس علينا ان نقف لدى الملاحظات الموجزة ، على وضوحها ، في فلسفة المتنبي ، وعروبة شعره الخالصة ، كالتي تصادفها في كتب زيدان والاسكندري[1] . فما هناك في الحقيقة سوى افكار عامة تحاول ، في غير توفيق ، ان تستر فقر الفكرة النقدية . وقد يكون اوفر فائدةً أن ننتبه لتصريحات الزيات[2] الذي يرى في ابي الطيّب لا فنّاناً « وفّق بين الشعر والفلسفة ، وجعل كل عنايته بالمعنى » فقط ، بل مجدّداً « اطلق الشعر من القيود التي قيّده بها ابو تمام وشيعته ، وخرج به عن أساليب العرب المخصوصة . فهو زعيم الطريقة الابتداعية (romantique) (كذا!) في الشعر العربي » . واذا بمدّاح امرأة القرن العاشر ، المعروف بوافر احترامه للتقليد الأدبي ، لا يظهر كمفكّر بل كشاعر من نوع هوغو (Hugo) يأتي باسم الالهام الحرّ ، فيقلب تلك العقائد المبالَغ في توقيرها في المذهب المدرسي . ولو قابلنا بما تقدّم تصريحات الشاعرين حافظ ابراهيم[3] ، وشوقي[4] ، المتأثر كلاهما

---

١) انظر الاسكندري : تاريخ ادب . . . العصر العبّاسي ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ؛ زيدان : آداب ٤ : ٢٤٧

٢) تاريخ الادب العربي ٢٢٧

٣) محمد حافظ ابراهيم المولود في القاهرة سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) كان ضابطاً في اول امره ، ثم عيّن اميناً في دار الكتب في القاهرة سنة ١٣٢٩ (١٩١١) . انظر سركيس ٧٢٦ ـ السندوبي ٢٤٦ وما يليها . وهو القائل في مقدمة ديوانه : « واكثرت التأمل في شعر ابي الطيّب فاذا شعره حيّ يتفزّز . ولم ارَ في الشعراء نفساً أعلى من نفسه ، ولا طريقاً الى المعالي اخصر من طريقه . وخير شعره ما كان في الحكم والامثال . ولو سلمت اقواله من ذلك التناقض ولم يكن أسلوبه عاقاً لاساليب اللغة العربية ، لكان أشعر شاعر في الاسلام . » كتب هذا سنة ١٣١٩ (١٩٠١)

٤) احمد شوقي بك وُلد في القاهرة سنة ١٨٦٨ ، درس دروسه العالية في مونپلييه . وزار

تأثرًا عميقًا بالفن « المتنبي » ، وحُكمَ الناقد احمد ضيف[1] المصيب بقوله انه لا يرى في المتنبي الّا سابقًا لابي العلاء المعري — لما تجاوزت هذه التصريحات مجال التلميح الخفي المتردّد.

وحتى هذا الزمن، وعلى الرغم من الشهرة المتزايدة يومًا عن يوم التي يتمتع بها ديوان المتنبي في الاوساط المثقفة في مصر وسوريّة ، لم يظهر درس واحد اجماليّ رصين . انما كان يُكتفى بنظرات عامّة ، سطحيّة ، وبترجمات الكتب التعليمية في تاريخ الأدب ، وببعض المقالات الفارغة . حتى كانت السنة ١٩٢٠ فبدأت عصرًا جديدًا للدروس « المتنبّية ».

اخذ النقد الشرقي يعرض احيانًا بتعمق لبعض نواحٍ من حياة شاعر الحمدانيين ، ولبعض مظاهر نتاجه الأدبي . ومن هذا النوع مثلًا ، نذكر مرّةً واحدة مقالات كامل كيلاني المختصة بعلاقات ابي الطيب بابن خالويه، وبابي فراس في حلب[2] . ومن هذا النوع ايضًا تطويلات زكي مبارك في أطروحته « النثر العربي في القرن الرابع »[3] او البحث الذي ظهر غفلًا في « القبس » في مزاج الشاعر العربي[4] .

واحيانًا اخرى ، يأخذ النقد على نفسه ان يُؤدّي للجمهور دروسًا اجمالية

الجزائر وانكلترة . انظر عبد الفتّاح ١ : ٢ ؛ وعيد ١ : ٦٣ وسركيس ١١٥٨ ؛ والبندوبي ٦ وما يليها . وهيكل : مقدمة الشوقيات . قال الشاعر في مقدّمته للطبعة الاولى (الشوقيات ١ : ٥–٦) : «معجز المتنبي لا يزال يرفع الشعر ويليه ؛ ويغري الناس به فيجدده ويحببه . وحسبك ان المشتغلين بالقريض عمومًا ، والمطبوعين منهم خصوصًا ، لا يتطلعون الّا الى غباره ، ولا يبتدون البدى الّا على مناره » (كتب ذلك نحو السنة ١٣٠٨ (١٨٩٨)

١) مولود في القاهرة ، وهو حاليًا استاذ في الجامعة المصرية . وهاك ما يصرّح به في «محاولته » ص ١٧١ «شعر المتنبي خاصةً بالفكرة الفلسفية التي كانت تلهمه في شعره ، وهي هذه الصبغة الفلسفية التي ترفع المتنبي الى مستوى ابي العلاء المعرّي ، وان يكن المفكّر الكبير الاعمى يظلّ فوقه . . . ولا يخفى ان هذا النوع من الشعر الانساني يكاد يكون مجهولًا بين العرب » (ظهر هذا الكتاب سنة ١٩١٧)

٢) مقالات نشرت في مجلة « المقتطف » تشرين الثاني ١٩٢٩ ، كانون الاول ١٩٢٩ ، كانون الثاني ١٩٣٠ ٣) ص ١٤٣ – ١٤٥ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ١١٨ – ٢٠٠

٤) ظهر في شباط ١٩٣١ ، في دمشق.

اكثر فنّيّة ، واقل اقتضاباً ، من الدروس التي في كتب التاريخ الأدبي.

هذه هي حال درس فؤاد افرام البستاني الظاهر في بيروت سنة ١٩٢٧ تحت عنوان : « ابو الطيب المتنبي : الرجل والشاعر »[1]. ففي قسم اوّل ، يصف فؤاد افرام البستاني ، مستنداً الى مصادر قديمة وحديثة[2] ، حياة شاعر الكوفة (ص ٨٣١–٨٤١) . وفي قسم ثان يرسم صورة الشاعر الخلقية (ص ٩٠٠ وما يليها) . وفي قسم ثالث يعدّد اهمّ المؤلفات التي خُصّت به (ص ٩٠٣ وما يليها) . وأخيراً يذكر أثر ابي الطيب الأدبي ويستنتج بقوله : « ان المتنبي ، ككل شاعر عظيم ، عظيم الحسنات وعظيم السيّئات ايضاً . . . وبينا نشاهد حوله الجماعات من شعراء الغزل اللطيف ، والوصف الدقيق ، والمجون المستملَح ، نراه ، هو وحده ، شاعر العظمة » (ص ٩٠٦ وما يليها) .

فاذا كان فؤاد افرام البستاني — كما يظهر لنا من كلّ ما في مؤلّفه — قصد قبل كل شيء ، أن ينشر بين الشبيبة المثقّفة ما تجب معرفته عن حياة ابي الطيب وشعره ، فقد نجح كلّ النجاح . بل نحن نقول إنّ مقالته ، بما يكمّلها من جزءَي المنتخبات المنشورين في « الروائع »[3] ، تؤلّف انموذجاً من احسن النماذج الظاهرة في الشرق حتى اليوم في تعميم التاريخ الادبي.

وكنّا نود لو نستطيع القول نفسه عن سلسلة مقالات للدّريني ظهرت في القاهرة ، سنة ١٩٢٨[4] . وفيها ان ابا الطيب « اشعر شعراء العرب » دون شك ! ولكنه ، الى ذلك ، فنّان احتفظ بالاثر العميق الذي تركته في نفسه

---

١) ظهر في «المشرق» : تشرين الثاني ، وكانون الاول ١٩٢٧ ، ص ٨٣٠ – ٨٤١ ، ٩٠٠ – ٩٠٩ . وقد طبع هذا الدرس مقدّمة لمنتخبات المتنبي في مجموعة «الروائع» (بيروت ١٩٢٧) الجزء ١١ ١ – ٣٨ . وانا احيل على «المشرق» .

٢) مسرودة في الروائع الجزء ١١ : ص : كز وما يليها . وهذه هي : ابن خلكان ، نزهة الالباء ، ابن نباتة ، المكبري ، الواحدي ، الوساطة ، اليتيمة ، الحاتي ، الصبح ، من القرون الوسطى . وتوفيق البكري ، العقّاد ، غبريالي من العصر الحديث .

٣) بيروت ١٩٢٧ الجزء ١١ : المدائح والاهاجي ؛ الجزء ١٢ : المراثي والمفاخر والحكم ، مع شروح وتعاليق ادبية موجزة ، ولكنها وافية الوضوح .

٤) ظهرت في « الاخبار » في ١ و٦ و١٣ و١٨ ربيع الاخر ١٣٦٧ اي ١٤ و٢٠ و٢٦ و٣ تشرين الاول ١٩٢٨

مصر المضيافة . . وها اننا نجتاز خطوة جديدة. فبعد الشاعر—الفيلسوف «العربي» المنصوب تجاه الشعراء – الفلاسفة الاوربيين، نرى النقد يعمد الى تشريح المتنبي نفسه كي يقابل « العراقيّ » فيه « بالمصري » . وبعد هذه المقدمة ، لا نعجب للسذاجات التي تتضمنها هذه المقالات . فالدريني ، مثلاً ، يكتب ببرودة ان سيف الدولة ذهب خصوصاً الى حلب ليستقبل ابا الطيب ، وان هذا الاخير لم يدّع النبوة في الملوة ، لانه ينكر ذلك ، هو نفسه ، في احدى قصائده ! ثم ان هذا الدرس ، فوق ذلك ، ينمّ عن عجز غريب في الحكم على مؤلف في عصره . فالناقد لا يشعر بتا في المطالع الغزلية من اسلوب تقليدي مصطلح عليه . وهو يوافق ، دون تردّد ، على الحكم الذي اصدره اعداء الشاعر في القرون الوسطى على جملة القصائد المنظومة قبل وصول المتنبي الى بلاط الحمدانيين معجباً بعدّة مقاطع يستشهد بها من القصائد الموجهة الى سيف الدولة . ولكن فقر القصائد الموجهة الى كافور لا يمنعه القول ان اجمل ابيات المتنبي هي التي نظمها في مصر[1] . والنتيجة ان دراسة الدريني العارية اجمالاً من اية قيمة علمية لا تفيدنا الا اثبات بعض اتجاهات النقد العصري في مصر .

هذا ، وقد لا يكتفي النقد احياناً بالعمل التعميمي ، بل يُصدر ابحاثاً خاصة في حياة المتنبي ، وفلسفته ، واخلاقياته ، وصفات شعره البارزة.

من هذه الابحاث نذكر ، بالترتيب التاريخي، بحث محمد كامل حسني الظاهر بعنوان : « ابو الطيب المتنبي ، حياته وخلقه وشعره واسلوبه »[2]. وغاية المؤلف فيه تتضح من المقدمة ، اذ يذكر ان النقد القديم لم يكن يرى في الشعراء الا المدّاحين والهجّائين. اما اليوم فيريد التعرّف الى اوجه الشعراء ، وتفهّم انفسهم، والوصول الى افكارهم الصيتة . . . وهو يأسف اذ يرى القوم ينسبون لرجال كدانتي ، وشكسبير ، وهوغو ، وغوته ، عرض المقاييس الفنيّة ، والمذاهب الاجتماعية، والتجريدات الفلسفية ، والاكتشافات النفسية، بينما لا يجد في زملائهم

١) وليس هذا الحكم منفرداً . فقد ردّده ابن القدسي اثناء الاحتفال بذكرى المتنبي الالفية . انظر « الف با » بتاريخ ٦ حزيران ١٩٣٥

٢) القاهرة ١٣٣٩ (١٩٢١) ١٢ + ٣٩٠ ص

من ابناء اللغة العربية الا المدّاحين والهجّائين . ثم يقول الكاتب ما ملخصه : ان الكثيرين من ادباء العصر الحاضر يتهكّمون على الشعر المدحي ، وان بعضهم يتجاوزون ذلك الى القول انه شعر الشحّاذين ... ولكننا لا نرى رأيهم ، بل نقول لهم : ليغربلوا ابيات المدّاح ، وليتزعوا منها ما وضعه الشاعر استدراراً للمال ، وليظهروا ، بعد ذلك ، حقيقة نفس الشاعر ، ومظاهر طموحه ... ليحلّلوا مجالي رغباته وافكاره الخاصة . ولا شكّ ان هذه النتائج الضئيلة تقودهم الى نتائج اوسع مجالاً تعمل على تكبير شعرائنا في عيوننا وفي عيون الاجانب. (ص ٥ من المقدمة)[1] . واذاً فنحن امام نظرية يضعها الناقد قبل ان يباشر درسه . يريد حلمي ان يبرهن على ان الشعر العربي لا ينحط في شيء عن غيره. فهل المتنبي ذلك الرجل الموافق لمثل هذا المشروع ؟ بلا شك ، يجيبنا الناقد . (ص ٧ من المقدمة) ، ففي شعر ابي الطيب ، فوق ما يختص بعصره ، قسط وافر من الصفة « الانسانية ». فقد شارك هذا الشاعر البشر في آمالهم وآلامهم ، وصوّر نقائصهم ، ومفاسد قلوبهم ، ووصف الدواء لادوائهم ... (ص ٨ من المقدمة) ، وظاهر ان شعره تغلّب على الموت لان المدائح والاهاجي ليست فيه الا جزءا ضئيلاً بالنسبة الى المجموع.

قلنا : يُخشى ان مثل هذا الدوران في القياس ، المبرَّر جزئياً ، يؤدّي بحلمي الى تأويل غير مقبولة ، لما تتعرّض له من مبالغة . وعلى كلّ ، دونكم ما يتضمنه هذا البحث : يدرس المؤلف ، في فصل اول (ص ١ — ٧٨) حياة الشاعر بالتفصيل ، مكتفياً ، على الغالب ، بمراجعة اقوال اصحاب التراجم المعروفين . على انه بعض الاحيان — كما هي الحال في الدعوة الثورية في الدولة — يُجلّل الوسط التاريخي ، ويحاول ان يجد فيه شرحاً لافعال شوّهها التقليد . وفي فصل ثانٍ (ص ٧٩—١٢١) يرسم حلمي صورةً للمتنبي لا جديد فيها . وكذلك الفصل الثالث (ص ١٢٢ — ١٧٧) في شعر ابي الطيب وفي احكام النقد « العربي » المختلفة ، فانه لا يبدو اكثر ابتكاراً . اما الفصل الرابع (١٧٧ وما يليها) فانه

١) لخّصنا آراء الناقد عن الترجمة الفرنسية لانا لم نقف على اصل الكتاب . وهكذا القول عمّا يأتي من الشواهد المأخوذة من الكتاب نفسه . (المشرق)

بالضد يدلّ على جهد حقيقي في التجديد . يرفض حلمي تقسيم الفنون الشعرية المتبع في النقد الشرقي ، ويبتغي تقسيماً جديداً . فيدرس في الديوان : الشعر العاطفي (ص ١٧٨ وما يليها) الظاهر في الهجاء والنسيب والرثاء؛ فالشعر الوصفي (ص ٢١٠ وما يليها) كمشاهد الطبيعة والحيوانات والمعارك والاشخاص البشرية ؛ فالشعر الفلسفي (ص ٢٢٤ وما يليها) كبعض النظريات التشاؤمية والارتيابية ، واللاأدرية والزهدية المعبّر عنها في بعض الابيات . وعلى كل نوع من هذه الانواع يسرد المؤلف شواهد مبينة ، ويوضح المظهر الذي يظهر به هذا النوع في الديوان . وفي الفصل الخامس (ص ٢٥٤ وما يليها) يدرس الناقد فنّ المتنبي فيلاحظ اولاً (ص ٢٥٥) ان هذا الشاعر، على سيره في الطريق التقليدية، أدخل في الادب العربي المنظوم عنصراً جديداً يتخذه ابو العلاء من بعده : وهو القيمة المعنوية . ثم يشير (ص ٢٥٨ وما يليها) الى طريقة الشاعر في تجديد قالب تعبيري قديم يُوجزه او يتوسّع فيه ؛ والى كيفية ميل اسلوبه عامةً نحو الايجاز والتعبير الحكمي (ص ٢٦١ وما يليها) . ثم يبين (ص ٢٦٤ وما يليها) النفحة الخطابية التي تتخذها بعض التراسيع . وينتقل الكاتب ، بعد هذا ، الى القيمة الموسيقية في ابيات المتنبي (ص ٢٧٠ وما يليها) فيستشهد بتفاعيل وزنية صوتية ناتجة إما من المقابلات اللفظية ، او من تقطيع الشطرين تقطيعاً متساوياً ، او من مراجعة اللفظة نفسها . ويشير اخيراً الى ميزات الاسلوب (ص ٢٧٦ وما يليها) كاستعمال الفاظ غريبة قديمة ، او نادرة ، او مبتذلة ، ويهتمّ خاصة (ص ٢٨٣ وما يليها) بظهور التضاد في الابيات العديدة، وبتمارين اشبه بتمارين كبار البيانيين (ص ٢٨٥ وما يليها) كالنكات ، والتلاعبات اللفظية . وهكذا ينهي بحثه منتقراً الى نتيجة او خاتمة ، كما يبدو للمطالع . وذلك انه بعد ان اطلعنا على ذلك المبدأ الدائر في القياس الذي يقرّه حلمي في مقدمته، كان من المنتظر ، رفقاً للمنطق السليم ، ان نجد في آخر الكتاب ، نظرةً شاملة تُرينا « الانسانية » الخالدة في شعر المتنبي . والحال ان خلاصةً كهذه لم تكن ، بل يمكننا القول ان هذا الدرس ما كان الا ليوضح ، بطريقة نهائية : كل ما استفاده ابو الطيب من زمنه وسوابقه الادبية . وهكذا فان الموضوع استعبد حلمي حتى انه كاد يمس

تأويل تقرب من سوء الفهم الادبي . وليس من شأننا ان نتذمر من هذه الموضوعية (objectivité) غير المختارة. فانها افادتنا درساً لا يزال ناقعاً من غير شك ، ولكنه ارقى من كل ما تقدمه في الشرق « العربي ».

وقد ظهر منذئذٍ عدد غير قليل من الدروس تكتمل في نظر مؤلفيها ، ما اكتفى حلمي بمثله فقط.

من هذا النوع سلسلة مقالات للعقاد[1] ظهرت سنة ١٩٢٣ ، وهي تستحق انتباهاً خاصاً[2] . في احداها يعرض الناقد لموضوع ثورة ابي الطيب في السماوة (ص ١١٨—١٢٣). فيلقي بنظرية تقرب من نظرية كراتشكوفسكي، وتستند ، من جهة، الى حوادث مستمدة من البيئة التاريخية الدينية ، والى فكرة الشاعر الفلسفية من جهة أخرى . وتقود الى الاستنتاج ان المتنبي لم يدع النبوة بمعنى اللفظة الحرفي ، بل استعان بدعوة دينية على تحقيق مطامعه السياسية . وهذه الدعوة استحقّت له هذا اللقب. وفي المقالة الثانية (ص ١٢٤—١٣٠) يدرس العقاد ميل الشاعر الى احتقار العالم المحيط به ، والى التبجح بسموّه الشخصي. فيجد ، في هذه الاستعدادات الطبيعية ، مبرّرًا لبعض مظاهر الفن « المتنبّي » كالغلوّ في الفخر ، واستعمال التصغير الاحتقاري. واختصّ بحثٌ ثالث (ص١٣١ — ١٣٨) بشهرة المتنبي : والناقد يرى في هذه الشهرة مصدر الحسد والبغض والشحناء التي جرت وراء الشاعر، طول حياته ، والتي طالما تذمّر منها في شعره. ويلاحظ الناقد ايضاً ان هذه الشهرة قد استفادت — بحكم ردّ الفعل — من المشاحنات التي دارت حول الشاعر ، ومن المنافسات بين الامراء الراغبين في استمالة المادح كلٌّ الى بلاطه. ويضيف ، في مقالة رابعة (ص١٣٩—١٤٣) ، انه ، على الرغم من كل هذا ، يبقى المتنبي مديناً بشهرته لعبقريته قبل كل شيء. والعقاد يرى فيه « شاعرًا من شعراء العرب العظام. وجد الشاعر العظيم (عنده) هو ان تتجلى

١) عباس محمود العقّاد ناشر، وناقد ، وشاعر ، وُلد في اسوان سنة ١٣٠٦ (١٨٨٩). انظر المشرق ١٩٢٧ ، ص ٩٤٤ ؛ وزكي الدين ١٠٨ وما يليها ، وسركيس ١٢٤٧

٢) هذه المقالات ظهرت في « البلاغ » ، القاهرة ، في ٤ و١٠ و١٩ و٢٥ و٣١ كانون الاول ١٩٢٣ ، وفي ٧ و٢٨ كانون الثاني ، و٦ شباط سنة ١٩٢٤ . ثم جمعها العقّاد في « مطالعاته » ص ١١٨ — ١٧٩ ، وعليها أحيل.

في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها ، وجلالها ، وعلانيتها ، واسرارها ؛ او ان يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة، ومذهب في حقائقها وفروضها ».

ولا شك في ان المتنبي « لم يكن ممن شغفوا بتحاسن الطبيعة واسرارها، ولكنه كان ممن يُقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمعة ... فافاده ذلك خبرةً وعلماً ، اذ فتح امامه سفر الحياة . » فاستخرج منه فلسفة عبَّر عنها بتعابير تزداد قوتها بازدياد تعشق الشاعر في اختبار حقيقتها . وفي مقالة خامسة (ص ١٤٤ — ١٥٥) يخطّ العقاد الخطوط العامة لفلسفة المتنبي . ذاك ان لهذا الشاعر العربي فلسفته الخاصة ، كما لكل من شكسبير ، وغوته ، وشلّير ، وهينه، وبيرون، فلسفته. والمتنبي اجدر من اي شاعر كان — ما عدا المعرّي — بلقب فيلسوف ، لانه يُحسن، في شعره ، ان يردَّ المطول الى علّته، على طريقة المفكرين . فما هو مذهبه اذاً ؟ هو ينحّي ، قبل كل شيء ، مسألة اصل الانسان ، او مصدر الحياة ، التي لا يتّفق عليها الناس ، ليصرف كلَّ همه الى الحياة الحاضرة في « سننها وصروفها ». فالحياة في نظره « حرب ضروس علاقة الانسان فيها بالانسان علاقة المقاتل بالمقاتل... وما المودَّة فيها الا حيلة من حيل الحرب او هدنة في حومة القتال . فاحذر الناس ، واستر الحذر . » وعليك ان تكون اقواهم في تنازع البقاء. هذا . كما عليك ان تعتبر الملذّات التي يعرضها هذا العالم ألهيّات لقتل الوقت ، فيجدر بك ألا تستسلم لها. اما هدف الانسان فالعظمة. والعظمة لا تُنال باللين بل بالقوة. ومن البديهي ان فلسفة كهذه لا تمرّ دون ان تذكّر بفلسفة نيتشه . واذاً فكان للعقاد ان يوازن في مقالة سادسة (ص ١٥٦ - ١٦٤) موازنة بين شاعر امراء القرن العاشر ، ومؤلف « هكذا قال زرادشت ! » ولنا ان نسأل هل كان التقارب بين المذهبين عرضياً محضاً ؟ اما الناقد فيرى التقارب العرضي ، على كونه لا يرى مستحيلاً ان يكون « نيتشه » عرف ديوان ابي الطيب في احدى الترجمات . ومهما يكن من أمر ، فانه يجمع ابياتاً كثيرة للمتنبي لا تخلو ، في الواقع ، من بعض الشبه بمقاطع « هكذا قال زرادشت » ، و« وراء الخير والشر » و « الشفق »[1]. ولكن

١) وهكذا يرى العقّاد ان هذه الفقرة في « ارادة القوة » : « ... السعادة ؟ — هي

الناقد لا يكتفي بهذا. بل يرمي ، في مقالة سابعة (ص ١٦٥ — ١٧٣) ، الى ان يبين ان فلسفة المتنبي تؤلف حلقة الاتصال بين « غريزة البقاء » لداروين و « ارادة القوّة » لنيتشه ؛ وان الشاعر بإخضاعه الشجاعة لحماية الفرد يتوصل الى التوفيق بين مبدئين يستحيل في الظاهر ردّ احدهما الى الاخر. ولا اقطع في البرهان عن ذلك من البيتين التاليين (القصيدة ١٠٨) :

٣٢ ارى كلّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها ، مستهاماً بها ، صبّا
٣٣ فحبّ الجبان النفس اورثه التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وهكذا تتكيّف « غريزة البقاء » نسبةً للعاملين من « اسياد » و« عبيد »، فتبدو في الاعمال المختلفة من شريفة ومحتقرة . واخيراً ، يبحث الناقد المصري اسلوب المتنبي في مقال ختامي (ص ١٧٤—١٧٩) فيقول : « اما ان كان الفنّ هو صقل العبارة ، وتوشية الكلام ، ولطافة المدخل ، وحسن الاحتيال ، ودقة الذوق ، ورقة الملمس ، ومهارة اليد ، فليس المتنبي من رجال الفنّ في مرتبة تُذكر... واما ان كان الفنّ يتسع لما تتّسع له الحياة من اختلاف العبارات والإشارات ، وتنوعّ الصيغ واللهجات ... فليدخل المتنبي عالم الفنّ في مقدمة الداخلين... يدخل ولكن من باب المتانة والصلابة لا من باب الجمال والزينة». ويستشهد النقاد بعدد غير قليل من الابيات المضحكة بتلوّها ، المنظومة تحت سيطرة الهام غير الهام طبيعة الشاعر الحقيقية. فابو الطيب اذاً لا يعرف الخضوع لاصطلاحات«الزيّ » الادبي ، وعندما يخضع لها يكون ذلك بدعوة من اولياء نعمته. ذلك ان طبيعته الرصينة لا تواتيه الإجادة إلا في موضوع رصين. أوَ ليس هذا في الحقيقة خير شهادة نؤديها لعبقريته ؟

اما قيمة مقالات النقّاد فكثيرة التفاوت ، كما يظهر للمطالع . ولا شك في ان بعضها اتت الشرقيين بمعونة مهمة في اقبالهم على الدروس « المتنبية » ، اذ القت نوراً جديداً على نقاط من حياة ابي الطيب واثره ، لم يكن اكتشفها

الشعور بان القوة نامية ، وان الغلبات مذلّة . فلا قناعة ، بل مزيد من القوة ؛ ولا سلم ، بل حرب ؛ ولا فضيلة ، بل شجاعة » ، يجب ان تُقابل ببيت المتنبي :

ومن طلب الفتح الجليل ، فانما مفاتيحه البيض الدقاق الصوارمُ

النقد « العربي » بعد . كما انها ، من ناحية اخرى ، تمثل في نظرنا شاهداً ثميناً على ما يراه المصريون حاليا في شاعر الكوفة.

وقد تكون من هذا القبيل فائدة ابحاث المازني[1] الخمسة المختصة بديوان ابي الطيب واخلاقه[2]. لان المؤلف لا ينظر الى ابحاثه إلا متمّمة لمؤلف حديث لا يسميه ، وهو بلا شك إما مؤلف حلمي او مؤلف العقّاد[3] . في بحث اول (ص ١٨٤) ينقّب الكاتب عن الاسباب التي جعلت المتنبي شاعرَه المصطفى ، بل الشاعر الذي يبقى اثره في ذاكرته اوفر حياة من اثر غيره . يبرّر هذا الامر تلك « القوّة » التي يصطبغ بها ديوان الشاعر باجمعه ، قوّة لا تنتج من قريحة سهلة ، بل من مقدرة المتكلّم وسموّ فكرته وقوّة مبناه: «وهي صفات قلما يخلو منها شاعر كبير ، ولكنها لا تؤدي الى مثل ما تحتمه من القوّة في شعر المتنبي إلا اذا اجتمعت.» فللادب العربي اذن في ابي الطيب شخصية ذات قيمة نادرة (ص ١٩٣ وما يليها) ، وهذه الشخصية نفسها هي التي استحقت لهذا المدّاح ، في القرون الوسطى ، كل هذا الاعجاب وهذا العداء . اما اليوم فقد شمل الهدوء والطمأنينة ، فاصبحنا لا نحكم على مادح سيف الدولة إلا بشعره. وهناك نجد الشاهد على قيمته ، وشجاعته ، واحتقاره للنام من البشر . هناك خاصة (ص٢٠٦ وما يليها) نجد عرضاً لمطامعه ومظاهر عنجهيته. ولقد كان من حظّه الغريب ان بهذه العنجهية لا تستدعي السخرية ، وان عرضت الشاعر لصغائر شبيهة بالتي تؤخذ على نابوليون . ولنضف الى ما تقدّم نواحي عديدة في المتنبي تذكّرنا بالامبرطور كدنائة الاصل ، وكره البشر ، والطمع. اما ما يسيطر على فلسفة المتنبي (ص ٢١٦ وما يليها) ففكرة الموت التي تجعل حركاتنا باطلة ، وشجاعتنا عديمة النفع ، ومظاهر حذونا وتعلّقنا من النوافل. وكل ما يقال في مجاله يستحق تدقيقاً اعمق (ص ٢٢٢ وما يليها) . من الحق ان ابا الطيب كان يحب

١) ابراهيم عبد القادر المازني شاعر وناقد مصري. انظر سركيس ، ١٦٠٨ ؛ وشيخو : الآداب العربية في القرن العشرين ، ص ١٨٤ و١٨٨.

٢) محاولات نُشرت في مجموعة عنوانها « حَصاد الهشيم » ص ١٨٤ – ٢٢٩

٣) « حَصاد الهشيم » ص١٨٤ الحاشية.

المال. ولكن المال لم يكن عنده «مطلوباً لذاته... بل لانه عون على الغايات. ولم يكن يخفى عليه ان المال «عضل» المساعي والمطالب الضخمة».

ويردنا درس المازني، في كثير من نواحيه، الى درس العقّاد. على انه اقرب الى الاصطباغ بالنزعة الشخصية (subjectivité) من الدرس الاول. ولكن سواء أقصدنا العقّاد ام المازني، فهذان المؤلفان — حتى في نظرياتها الاكثر تعرضاً للنقاش — يبرهنان عن ذكاء يجذب الانتباه. ونود لو نستطيع القول نفسه في طائفة من المحاضرات خصّها الدمشقي شفيق جبري[1] بابي الطيب[2].

ليس، والحقّ يُقال، من فائدة خاصّة في المحاضرات الست الأولى، وكلّها توسيعات لفظية، صبيانية احياناً، في المحيط الذي ولد فيه المتنبي (ص ٦١)، وفي اصله العربي (ص ٣٠ وما يليها)، وعواطفه القوميّة (ص ٧٩)، ووطنيته التي تدفعه الى خدمة المسلمين اذا لم يتوفّق الى الاكتفاء بمدح العرب الخُلّص (ص ٨ وما يليها) وفي دروسه، وقرابته الفكرية، (وجبري لا يمكنه ان يصادف لفظة: سيف، او رمح، او فرس، في بيت شعر الّا اكتشف فيها أثراً بدوياً!) وفي ثورته في الماوة (ص ١٠٦ وما يليها)، ومقامه في حلب، والفسطاط، وبغداد، وشيراز (ص ١١٥) حيث يقع الناقد في هفوات تاريخية باهظة. وعلينا ان نصل الى محاضراته في خُلق المتنبي (ص ١٣٨ وما يليها)، وشعوره (ص ١٤٩ وما يليها)، وتشاؤمه، وحبّه الحياة، وأنفته (ص ١٥٨ وما يليها) وفكرته الدينية والفلسفية (ص ١٦٧ وما يليها) حتى نجد اخيراً توسيعات مفيدة، وان كانت مجرّدة عن الابتكار. كذلك في مقاله عن عبقريّة المتنبي (ص ١٧٥ وما يليها) نجد عدة احكام مصيبة في قيمة ابيات الشاعر الغزلية. فجبري يقدر تماماً شعورَ وجل يتوصل الى التأثير إذ يتخلّص من سيطرة شعوره، ثم انه يحكم

١) شاعر وناقد وُلد في دمشق سنة ١٣١٣ (١٨٩٥). انظر شيخو في «المشرق» ١٩٢٧، ص ٦٤٣ وما يشير اليه، والآداب العربية في القرن العشرين، ص ١٢٨

٢) تحت عنوان «المتنبي» جمع شفيق جبري في مجلد واحد (دمشق ١٣٤٩ = ١٩٣٠): ١° ثماني محاضرات في الطريقة الادبية، ٢° ثلاث عشرة محاضرة في المتنبي وشعره، ومقالتين عن فن المتنبي. وسلسلتا المحاضرات ظهرتا في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي خلال السنتين ١٩٢٩ — ١٩٣٠

مصيباً في مراثي المتنبي التي تتهادى بين السخف والروعة ، وفقاً لاستسلام الشاعر لحزنه ، او الاهتمامه بالاعتبارات الفلسفية في الحياة. اما ابيات ابي الطيب الهجائية والمدحية فبعيدة من ان تستحق كلها الاعجاب في نظر جبري : فخشونة بعضها، وغلو البعض الآخر كثيراً ما يجعلها بغيضة ، بل ان افضلها تنقص ابتكاراً على الغالب . واذاً ففي الشعر الوصفي خاصة يظهر المتنبي بلا نظير . وسواء أعرض لمعركة، ام لشيء عادي، ام لمشهد من مشاهد الطبيعة، ام لحيوان، فانه يبرز ذلك بخطوط سامية خالدة . اما التوسيمات الفلسفية الداخلة تقريباً في كل قصيدة من قصائد الديوان فستبقى ابياتها غذاء روحياً لنخبة المتأدبين يعودون اليها كلما شعروا بالحاجة الى التشكي من القدر ، ومن العالم ، ومن الناس ، وما دامت اللغة العربية لغة قسم كبير من البشرية ... والناقد لا يعير مسألة السرقات كثيراً من الاهتمام (ص ١٩٨) فهو يحلها على اساوب التأثر الذاتي فلا يهتم اصل البيت اذا بدا حسناً . ثم ان البحث في اسلوب المتنبي (ص ١٩٩ وما يليها) يظهر سطحياً ، يستوحيه الناقد من الثعالبي مكتفياً بالاستنتاج — وقد يكون ذلك لفطنة فيه! — أن سحر الفن « المتنبي » يُشعَر به اكثر من أنْ يُعبَّر عنه . فالشاعر امير قدير يسيطر علينا حتى يلاشي ارادتنا . هذا ، وليس من فائدة في تفصيل ما في بحث جبري من النواقص ومظاهر التفاوت . فهو لا يمثل تقدماً في الدروس « المتنبئية » لا من حيث البحث التاريخي ولا من حيث النقد الأدبي . انما فائدته الوحيدة ان له قيمة الشهادة اذ يبدو ، وراء مظهر موضوعي علمي ، عرضاً كاملاً للأسباب الواضحة والغامضة — محتجة او مقبولة دون نقد — التي اكتشفها جيل الشرقيين ، المولود في أواخر القرن التاسع عشر ، ليبرّر اعجابه بابي الطيب .

بيد ان هناك طريقة اخرى لدرس ديوان المتنبي ، سار عليها محمد الأسمر في ست مقالات متوالية[1] وكان من الممكن ان تكون موفقة . بعد ان وضع الأسمر ، في بحث اول ، مبدأ انقسام الشعر ، بالنظر الى الالهام ، الى اربعة

١) ظهرت في « السياسة الاسبوعية » ، القاهرة ، في ١ و١٥ اذار ، و٥ و١٩ نيسان ، و٣ و١٧ ايار سنة ١٩٣٠

فنون : الغنـائي ، والعقلي ، والوصفي ، والملحمي ، اخذ يجتهد في ان يوضح الصفات التي اتخذها كل من هذه الفنون في شعر المتنبي . ثم حلّل في مقالة ثانية شعور ابي الطيب في قسم « النسيب » من قصائده ، مشيرًا الى ما فيه من مظهر اصطناعي ينسبه الى عدم اخلاص الشاعر . لا يستثني من ذلك الّا قصائد الصبّى وقصيدة او اثنتين من قصائد الكهولة . ولقد شعر المادح نفسه بعجزه في هذه التوسيعات عجزًا كان يجتهد في اخفائه بصناعة المبنى . ويعرض الاسمر ، في المقالات الثلاث التابعة ، لشعور المتنبي في المدح ، والرثاء ، والهجاء ، فيثبت ، قبل كل شيء ، الصلة المتينة بين هذه الفنون « وهي اغصان ثلاثة لشجرة واحدة » . ثم يظهر رغبته عن درس كل بيت بمفرده ، ولا خير في ذلك ولا فائدة ، آخذًا على نفسه ان يبيّن في اي شيء يمتاز ابو الطيب عن زملائه . فالمتنبي ، بخلاف سائر المدّاحين ، يُعجب بممدوحيـة ، ولا يحلم بالدراهم فحسب ، عنـد ما يشيد بمكارمهم ، انما يعزم عليهم بان يضعوا حدًّا لنوالهم (كذا) . وكذلك يمتاز المتنبي في الرثاء عن الشعراء القدماء بالصعوبة التي تعترضه في اظهـار حزنه (وقصيدته في موت جدته ذات اهمية كبيرة من هذه الجهة) . هو يبحث عن العزاء ، لا في السلوى الوقتية التي تجلبها الدموع ، بل في نوع من الجبروت الرواقي (stoïcisme) وفي العمل . فلا يخرج عواطفه الّا اذا كانت تدلّ على حقيقة . وهو هو في الهجاء ، يجتهد ان يكون صادقًا ابدًا . لهـذا نراه في هجائياته يستسلم للغضب فيهيجه ويدفعه الى التلفظ بكثير من الشتائم والبذاءات . ثم يدرس الكاتب ، في مقال أخير ، الشعر العقلي ، والوصفي ، والملحمي ، عند المتنبي . اما النوع الأوّل فيظهر مفقودًا عند هذا الشاعر الذي يبدع ، في الشعر الوصفي ، عند ما يصف المعارك فقط . كذلك الملحمة لا تُرى في ديوانه الّا في ذكر معارك سيف الدولة . واخيرًا يقول الأسمر كلمة في اسلوب المتنبي الذي ينبّه فنّه في مخيّلتنا مشاهد العالم المختلفة .

ومهما يكن من عطف المطالع على تجربة مبتكرة ، فانه لا يصل الى خاتمة هذا البحث الا ويتحقق خيبة شديدة . اولًا بسبب التوافه الصبيانية التي نجدها فيه : فان الاسمر يظهر وافر السذاجة حقًّا بتصديقه اقوال المادح الاعجابية في

اولياء نعمته. ثم بسبب ضعف التمييز الظاهر في بعض التوسيمات. وكيف يمكننا مثلاً الادعاء بان النوع الفلسفي لا اثر له في شعر المتنبي ، بينما نراه فعلاً في كل بيت من المقاطع الحكمية ، وحتى في النسيب الحبّي ، وفي الرثاء حيث تكاد العاطفة تفسح المجال دائماً لاعتبارات عامة في حياة الانسان وسرعة زوال حبه ؟ كيف يمكننا ألّا نلوم الاسمر على اهماله ، دون رشاقة ، درس النوعين الاخيرين الممثلين في الديوان ؟ بل ان الاكتفاء ببضعة اسطر لا غير لدرس الملحمة والوصف ، كما نجدهما عند ابي الطيب ، لا يمثل نقصاً فحسب ، انما قد يدلّ ايضاً على عدم فهم للاثر المحلّل.

بقي ان نشير الى فصل خصّه محمد صدر الدين بالمتنبي في كتاب حديث ، عنوانه : « سيف الدولة وزمانه »[1] . وفيه نعود الى سلسلة النظرات الاجمالية المستندة الى دروس قديمة ، وخاصة الى « يتيمة » الثعالبي . اما الطرافة في هذا الدرس فمائدة الى أنه مؤلف بالانكليزية بقلم هنديّ سَحَره تاريخ سلالة عربية صغيرة[2].

***

يبرز من التحليل السابق عدد من الصفات المشتركة بين الابحاث التي اوحاها شاعر الكوفة منذ ستين سنة . واول هذه الصفات ان الابحاث المذكورة ، — مع انتباهنا لما كان منها ابتدائيًا عن قصدٍ وتعمُّد — تبدو كلّها ، حتى اكثرها تعمقاً ، سطحيّةً ، ثرثارة . وذلك ان القضة تحلّ ، في القسم الترجمي منها ، محلّ الحدث التاريخي ؛ كما يغلب التأكيد والتعميم ، في القسم النقدي ، على التحليل الدقيق .

ثم ، على رغم الجهد في التخلص من سيطرة القرون الوسطى ، تبقى هذه السيطرة مستبدةً فعلاً ، ظاهرةً في الشواهد الطويلة بل في تحويرات بسيطة ، بعض الاحيان .

---

١) *Saifuddaulah and his Times* ، لاهور ، ١٩٣٠ ، خصوصاً الفصل الـ ١٥

٢) كان هذا الفصل تحت الطبع عندما جرت بالجامعة الاميركية في بيروت في ٢ حزيران ١٩٣٥ ، حفلات ذكرى المتنبي الالفية التي نظّمتها « العروة الوثقى ».

وهناك لوم آخر نوجهه الى هذه الابحاث ، وهو انها لا تُعنى ، على الغالب ، بتطور المتنبي الأدبي. من الحقّ انها تُقرّ ، نظرياً ، باختلاف بين شعر الصبى وسائر الديوان، ولكنها في الواقع ، تستشهد ، دون تمييز، بأبيات من كل عهد لتدعم احكامها في اسلوب ابي الطيب ، وفلسفته الخلقية.

واخيراً ، اذا صرفنا الانتباه عن ان هذه الابحاث جميعها ، ما عدا درس حلمي ، ترتكز على نقد شخصي (subjectif) يظلّ عرضةً للجدال ، لا يسعنا الّا الملاحظة ان عدداً كبيراً منها ، ومن اوفرها تصفاً بنوع خاص ، هو في الحقيقة نظريات او أطروحات . فعقائد القومية ، والوحدة العربية الشاملة ، التي تدفع بالنقّاد الى التنقيب عن نواحٍ في المتنبي تقربه من النوابغ الأوربيين ، تجرّهم الى مقارنات سريعة وتأويلات مفتعلة. ولا شك في ان من نصيب الرجال العظام ، ولاسيما في الأدب ، ان يكونوا مدينين بشهرتهم في غالب الاحيان ، لتزييف مريديهم والمعجبين بهم، اذا ما اغتبطوا باكتشاف انفسهم في آثار ظهرت في عصر قبل عصرهم وفي بيئة غير بيئتهم. على انه من النادر ان نجد تشويهات للحقيقة بالغة في التنظيم حدّاً بلغته في ما يختص بالمتنبي. لقد رأينا الى اين تؤدّي هذه التأويلات في ابحاث الدريني ، والمازني ، وشفيق جبري . وقلنا باية صدقة نجا حلمي من هذا الزَرَق . على اننا لا نشعر بخاطر هذا الميل في اي بحث كما نشعر بها في بحث العقّاد ، وقد أشرنا ، مع هذا ، الى ما في بعض مقالاته من قيمة معجبة. يبدو هذا الناقد — وقد سحره تحديدٌ للشاعر عزيز على فكتور هرغو — يرى في المتكتب بمدح سيف الدولة وكافور وابن العميد :

« غنّاً بالف صوتٍ جعلها الهي المبرد
صدىً رنّانًا في قلب كل شيء »

فيحلّل فلسفته تحليلاً نافذاً ، ثم يتبع ذلك بموازنة بين فكرة ابي الطيب ومذهبَي داروِن ونيتشه تظهر كلّ لفظة منها بمثابة سوء فهم[1].

---

(١) ولنا مثل على ذلك بيتين من القصيدة ١٠٨ ذكرناها اعلاه . وقد رأى فيهما النقد القديم نظماً لاحدى حكم ارسطو ، او لبعض القوالب الحكمية المعروفة (انظر المكبري١ : ٤٤ ، سطر ٣٠ وما يليه) ومهما يكن من امر فاننا اذا اعدناهما الى النص الاصلي ، تصبح لما

وافظع مما تقدم ان هذه التأويلات لا تكتفي بتشويه شخصية المتنبي باعطاء فكرة فاسدة عن شعره عموماً ، بل انها تحـط من مجد الشاعر الذي تدّعي خدمته . وكيف لا يشعر العقاد بأن الحكم في اثر ابي الطيب بالنسبة الى عصره، ومقارنته بما يشبهه من الآثار، يؤدّي الى اظهار عظمته؛ بينما ان مقابلته بمذاهب منطقية كمذهبَي دارون ونيتشه تظهر ما فيه من نقص وعدم اتّساق ؟

ولنختم اذا قائلين انه ليس للشرق « العربي » حتى الآن اثر نقدي جديرٌ حقًا بهذا الاسم ، في حياة المتنبي وشعره . اما من الوجهة التاريخية فغرانا ، حتى مع اعترافنا بقيمة كتاب حلمي وبعض مقالات العقاد ، مكرَهين على التحقق انه لا يزال مجال واسع للعمل . وذلك أننا لا نزال نبحث في هذه الكثرة من الدروس العصرية ، المؤلّفة بالعربية ، عن درس يستخدم جميع المواد الموجودة على طريقة دقيقة ، مُجرَّدة من كل تأثير غريب عن النقد التاريخي .

ومن جهة أخرى فاننا نرى في هذه الاعمال نقصاً فاحشاً في نظرنا : وهو انها تجعلنا نحسّ بالاسباب « العاطفية » التي تحبّب اثر شاعر الكوفة الى الشرق في الوقت الحاضر . واذا اردنا التخصيص قلنا ان العقّاد، والمازني ، وجبري، والاسمر، يطلعوننا بدقة على الاهواء الوطنية والقومية التي يغتبطون بايجادهـا في اقوال مادح سيف الدولة . وهم ، بخلاف ذلك، عاجزون عن بسط الاسباب « الأدبية »

قيمة تختلف كل الاختلاف عن القيمة التي ينسبها اليها العقّاد . ودونكم سياق الافكار المتتابعة :

٢٩ مضى [الدمستق]، بعد ما التفّ الزماحان ساعةً، كما يلتقّى الهُدبُ في الرقدة الهُدبا .
٣٠ ولكنه ولّى ، وللطعن سورةٌ اذا ذكرته نفسُه ، لمّس الجَنبا ،
٣١ وخلّى المذارى ، والبطاريق ، والقُرى ، وشُعثَ النصارى، والقرابين، والصُلبا .
٣٢ ارى كلّنا يبني الحياة لنفسه حريصاً عليها ، مستهاماً بها ، صبّا ،
٣٣ فحبّ الجبان [كالدمستق] النفس اورثه التقى ،
وحبّ الشجاع [كسيف الدولة] النفسَ اورده الحربا

وواضح ان هـذا البيت، بالتنسيح الذي يتضمنه ، ليس سوى مدح ماهر للحمداني، وان الفكرة فكرة مادحٍ اكثر منها فكرة فيلسوف . ومن السهل ان نذكر غير هذا من تآويل العقّاد المتعلة .

الخاصة بهم والتي تجعلهم يتحمّسون لبعض ابيات المتنبي . لا نقول هذا لانهم اهملوا ذلك في مؤلفاتهم ، بل لانهم ، عندما يبحثون اسلوب ابي الطيب ، يكتفون غالباً بنقل احكام النقد القديم. حتى ان حلمي، — وهو الذي عرض، من بينهم ، لهذا المشكل على الطريقة الاوفر دقة — يكتفي بنقل تحليل الثعالبي في « اليتيمة»[1]، مهملاً درس قيمة البيت الموسيقية الناتجة لا من الوزن والقوالب، بل من رنّة الالفاظ المختارة.

فبالنسبة الينا ، لا يزال ، كما هو ، سرُّ بعض الابيات التي يؤخذ بها الشرقيون، لا من حيث الفكرة التي تعبّر عنها ،ولا من حيث الفن الذي تتجلى فيه ، ولا من حيث الايقاع الذي تتصف به ، بل من حيث تمازجات مؤتلفة بين الأحرف الصوتية والساكنة لا تستطيع اذننا تذوّق سحرها.

وبالنسبة الينا أخيرًا ، لا تزال،كما هي، تلك المعضلة المقلقة ، معضلة المركز الذي يجب ان نمنحه في الشعر العالمي لشاعرٍ من القرون الوسطى لا يبرح ، حتى اليوم ، موضع الاعجاب من مراكش الى الهند . وهنا ، اكثر من اي مكان آخر ، نشعر بأن الفكر الشرقي لا يمكن ان يولينا اية فائدة . اذ ليس بمقدور أناس يعجبون بابي الطيب لدواعٍ قومية اكثر من اعجابهم به لاسباب ادبية ، ان ينيلونا الجواب المقنع. فهل يستطيع المستشرقون انفسهم اعطاءنا هذا الجواب ؟ هذا ما يجدر بنا ان نراه[2].

---

١) حلمي ، ص ٢٧٠ — ٢٧٦

٢) ويردف المؤلف هذا الفصل بفصل جديد عنوانه « المتنبي والمستشرقون ».